صداقة النساء

كتاب اخلاقي اجتماعي عربناه عن الانكليزية لننشره تباعاً في الحسنا

تابع صفحة ٢٦٠

اخلاقها السيئة وصفاتها الذميمة عليكما والاولاد الذين يحترمون والديهم ويطيعونهم والذين يطلبون رضاهم ومسرتهم تجبر الطبيعة والديهم على حبهم ومعاملتهم باللين واللطف والحسنى فعلى كل فرد ان يتحلى بصفات المعاملة الرقيقة اللازمة المقرونة بالخدمة والصبر بدون تذمر والشفقة والرغبة في بهجة الغير وهي صفات تمنح الحياة قيمتها العظيمة والتي لو فقدتها الحياة اصبحت ذابلة وماتت جراثيم محبتها وفنيت الوان جمالها

اننا حين نعتبر الصداقة والوداد والاخاء واجبات مفروض على المرء اتمامها وليس امتيازات له ليتحلى بها نكون قد سلبناها شيئاً من قدرها وقيمتها فهذه العواطف وما شاكلها لا تمتلك بسهولة بل بسهر شديد واعتناء عظيم . ان القلب حرٌ يكره القيود والفروض والمحبة البيتية اقرب الى البهجة منها الى الكدر فهي اذاً نعمة وليست نقمة او قيد او فرض واجب

وعلى الافراد ان يكونوا اصدقاء ليس لانهم مطالبون بذلك او مجبورون عليه بل بالاكثر لكونهم اهلاً للصداقة ولان سلامة قلوبهم وسعادتهم وفناعتهم تتوقف على صداقتهم ووداده المتبادل فاي مجد او امتياز اسمى وابهى واية فرصة اعظم واشهى من مجد وامتياز شاب اتخذ والدته الحكيمة الصالحة صديقة له واصطفى ودها واحبها بحماسة ونشاط وارتن اليها بمحبة كلية . وما احسن ما قيل

الدموع الصافية الطاهرة التي لا تعكر صفاء الوجه الملائكي هي دموع والد حنون يذرفها عَلَى راس ابنته الجميلة المطيعة

صداقة الامهات لبناتهن وبالعكس

ان كورنيليا ابنة شيبيون افريقانوس وزوجة سمبرونيوس غراقوس فقدت زوجها ولها اولاد صغار وهي التي رفضت طلب كثيرين من الشبان الاشراف لزواجها بعد موت رجلها بطليموس ملك مصر وقد نسب ولداها طيباريوس وقايوس الحاكمان الرومانيان المشهوران كل حذاقتهما وحكمتهما وقوتهما الى مقدرة والدتهما عَلَى تهذيبهما وتربيتهما وتحليتهما بافضل الاخلاق واحسنها فاشتهرت كورنيليا عند الرومانيين فاكرموها اكراماً فائقاً ونالت مركزاً من الشهرة والاحترام لم تنله امراة في تاريخ الرومان (١)

وكان ولداها يرجعان اليها في معظم الامور الهامة ويسألانها رايها ونصيحتها فكانت حياتها وحياة ولديها شيئاً واحداً. قبل ان احدهما تبعاً لراي امه قاوم بظاماً صادق عليه المجلس الروماني واسقطه وان ولدها قايوس خطب مرّة امام جمهور غفير من الرومانيين في اخلاق وعظمة والدته ولما قتل ولداها احتملت هذه المصيبة الفادحة بصبر غريب فاعتزلت عن اهل رومية وهجرتها الى الضواحي وتبعها جمهور كبير من العلماء والكتاب والشرفاء وعاشت كل حياتها مكرمة معتبرة عندهم واقيم عَلى ضريحها تمثالها وعليه هذه الكلمات « كورنيليا والدة طيباريوس وقايوس غراقوس » والملكة اولمبياس والدة اسكندر الكبير مع انها كانت تتداخل في شؤون المملكة وتشارك ابنها في الحكم والسلطان كان لها منزلة عظيمة في قلب الاسكندر فانتهز الفرص العديدة ليقدم لها كامل اعتباره واحترامه

(١) نشر تاسيرة هذه الام العظيمة في الجزء الرابع من المجلد الثاني صفحة ١٢١

وكان انشاء غزواته يراسلها و يبتهج بتحاريرها وحين رجوعه لم يخف عنها سرّ من اسراره واخباره التي جمعها في حروبه ومحياته

القديس اوغسطينوس ووالدته القديسة مونيكا كلاهما جالسان على مركز الشهرة ومركز الوالدة أعلى بقليل من مركز ولدها وعلى محياهما كليهما امارات الاهتمام والتعب الشديد وعلامات المحبة السامية ينظران الينا من وراء ليل الزمان وبحار الشهوات والاميال النفسانية تحت اقدامهما والبحور الابدية معلقة بهدوء فوق راسيهما وبعد موت القديسة مونيكا بثلاثين سنة قال القديس اوغسطينوس في احدى عظاته « اواه . ان الموتى لا ترجع الينا لانه لو اتيح لهم الرجوع لزيارتنا لكنت ارى والدتي في كل ليلة من ليالي حياتي — والدتي التي في حياتها لم تقدر ان تعيش لحظة واحدة في غيابي والتي رافقتني في كل سياحاتي . اني مؤكد ان الله لا يسمح لها وهي في السماء ان تنقطع عن حبي ووانق انها لو أتيح لها المجيء لاتت لتعزيني وسط شدائدي لان محبتها لا يستطيع احد ان يصفها

اتحاد الاخوين همبولدت مع والدتهما قد اشتهر بالمتانة والرقة فتقاسما معها الحياة والعواطف مدة حياتها وعبدا ذكرها بعد موتها ومرّت السنون الطوال على وفاة تلك الام الحنون الى ان اضطجع احدهما واسمه وليم على فراش الموت وبجانبه جلس اخوه الاكبر فقال المريض الراحل « بعد قليل اكون بجانب والدتي فارتوي ببرآها » فبكى اخوه وصرخ لم اصدق ان عيني الضعيفتين القديمتين تجودان بدموع مدرارة كهذه الدموع المساقطة على خدي الان »

كذلك كانت علاقة غيزوت السياسي والمؤلف الافرنسي مع والدته فكانت من اعمق واشرف العلاقات الودية التي تمكنت بين امّ وابنها فداء غيزوت هذه ناضلت نضال الشجعان وكافحت كفاح الابطال في الثورة الافرنسية المشهورة

التي خسرت زوجها فيها فكرست حياتها لاتمام الواجبات الوالدية بنشاط وعزيمة دون ان تبدي علامات الكلل او الملل وكانت اخلاقها من افضل ما تحلت به بنات الجنس اللطيف وشيخوختها مثال التواضع والحشمة فموت كلما يعود عليها بثقة الناس بها والاحترام لها وكانت صداقتها مع ولدها لا يخترمها سنان الدهر ولا تمزقها مخالب الموت ودامًا كلاهما يفتخر كل بالاخر

صداقة البنات لوالديهن وبالعكس

تتمتع شيشرون بصداقة ابنته توليا ولنا من شهادات التاريخ ان توليا اشتهرت بحسن اخلاقها وبشرفها وكانت تود اباها وداداً لا يوصف فتهذبها وعلمها كانا لها سبباً يؤهلها لان تكون رفيقة مناسبة وشريكة موافقة وبهجة عظيمة لابيها في شيخوخته وشجونه ومما يؤثر في النفس قصتها لما شعرت برجوع والدها من المنفى كيف انها اسرعت لملاقاته ورمت نفسها في حضنه وماتت بين يديه ولها من العمر اثنتان وثلاثون سنة فسقط والدها في وهدة الحزن والويل بعد موتها فاخذ يجول في تلك النواحي لتخفيف حزنه والمه فلم يجده ذلك نفعاً بل ما فتئت تجود عيناه بالدموع السخينة حينما كان يذكرها وقد جرّب كثيرون من اصحابه ان يسلوه وارسلوا له تحاريز تعزية ورسائل تسلية وقد اعتزل الى منزل في احدى القرى وكان ينفرد كل صباح في احد الاحراج الكثيفة ويطلق لنفسه العنان في البكاء والنحيب ثم يعود عند المساء الى منزله. حقاً ان ابنته كانت تعزيته الوحيدة في المصائب التي المت به في بدء حياته السلية فقال مرّة وهو يندبها « لقد كانت لي خير تعزية وسلوان في مصائبي الاولى فكان حديثها العذب اللطيف مقراً التي عليه كل همومي واحزاني » وقال ايضاً « خسرت حياتي ووصلت الى القبر ايها الصديق اتيكوس لاني قد عدمت من كان سلوتي وسبب حياتي وسروري »